

المعتبر
في من كان
عزيزاً ثم افتقر

جمع وترتيب

عبدالعال سعد عويد الشليّه

المقدمة

قال تعالى { وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } وقال تعالى { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } .

وقال تعالى { إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } .

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي : وهذا المثل من أحسن الأمثلة، وهو مطابق لحالة الدنيا، فإن لذاتها وشهواتها وجاهها ونحو ذلك يزهو لصاحبه إن زها وقتاً قصيراً، فإذا استكمل وتم اضمحل، وزال عن صاحبه، أو زال صاحبه عنه، فأصبح صفر اليدين منها، ممتلئ القلب من همها وحزنها وحسرتها. ^(١)

قال ابن القيم : وهو سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء، وإنما يرحم من عباده الرحماء، وهو ستر يحب من يستر على عباده، وعفو يحب من يعفو عنهم، وغفور يحب من يغفر لهم، ولطيف يحب اللطيف من عباده، ويغض الغليظ القاسي الجعظري الجواظ، ورفيق يحب الرفق، وحليم يحب الحلم، وبر يحب البر وأهله، وعدل يحب العدل، وقابل المعاذير يحب من يقبل معاذير عباده، ويجازي عبده بحسب هذه الصفات فيه وجوداً وعدمياً، فمن عفا عفا عنه ومن غفر غفر له ومن سامح سامحه ومن حاقق حاققه، ومن رفق بعباده رفق به، ومن رحم خلقه رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن صفح عنهم صفح عنه، ومن تتبع عورتهم تتبع عورته، ومن تركهم تركه وفضحه، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن شاق شاق الله تعالى به،

(١) تفسير السعدي (٣ / ٣٤٣) .

ومن مكر مكر به، ومن خادع خادعه، ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة. (٢)

قال ابن عبد الهادي : وقد رأينا كثيراً ممن قتل شخصاً، نشأ له ولد فقتله. ورأينا كثيراً ممن أكل مال أيتام غيره، أكل الغير ماله حين مات.

ورأينا كثيراً ممن ربى أولاد غيره، وحرص عليهم، يسر الله له من ربي أولاده، وحرص عليهم. ورأينا كثيراً من الأشرار تسلط على ناس من أهل الخير، فسلط الله عليه من هو أقوى منه، فأذاه بنحو ما آذى ذلك. (٣)

فلما تمادى واستطال بظلمه :: أناخت صروف الحادثات ببابه
وعوقب بالظلم الذي كان يقتفي :: وصب عليه الله سوط عذابه .

وفي الأثر " لو بغى جبل على جبل لك الباغى منهما". (٤)

عن أبي سعيد الغفاري، أنه قال: سمعتُ أبا هريرة، رضي الله عنه يقول: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الْأُمَمِ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا دَاءُ الْأُمَمِ؟ قَالَ: «الْأَشْرُ وَالْبَطْرُ وَالتَّكَاثُرُ وَالتَّنَاجُشُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ». (٥)

وهذه رسالة صغيرة في حجمها ولكنها كبيرة في عبرتها ومدلولها أسميتها (المعتبر في من كان عزيزاً ثم افتقر) وحينما أقول (عزيزاً) أي عزيزاً في ماله عزيزاً في منصبه عزيزاً جاهه أو سلطانه فزال هذا العز بفقر أو قتل أو سجن أو زوال ملك أو غير ذلك . وبالله التوفيق .

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (٣٥) .

(٢) صب الخمول على من وصل أذاه إلى الصالحين من أولياء الله. ل ابن عبد الهادي (١٠١) .

(٣) أورده الألباني في ضعيف الجامع عن أبي هريرة وقال (ضعيف) (٦٩٤ ح ٤٨١٠) .

(٤) رواه الحاكم في المستدرک . وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَمُحَرَّرٌ حَاهُ (١٨٥/٤ ح ٧٣١١) وحسنه الألباني.

■ مالك بن بكر بن علفة بن جداعة .

أخو بني جشم بن معاوية بن بكر ابن هوزان، وكان غزا بني قيس بن حنظلة، من البراجم، فأسره الجعد بن الشماخ البرجمي وفض أصحابه، فمكث عنده عاماً لا يفدى، فلما طال ذلك عليه جعل يأتيه في كل رأس شهر بأفعى فيقول: والله لتفدين أو لأعضنها بك! فلما طال ذلك عليه قال: يا هذا إن قومي لا أراهم يفدونني، فجز ناصيتي على الثواب. ففعل وأطلقه. (٦)

■ إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك المرواني الأموي . (ت ١٣٢هـ) .

أبو إسحاق أمير كان مقيماً في دمشق ولما مات أخوه يزيد بن الوليد قام بعده بالأمر سنة (١٢٦هـ) وكان ضعيفاً مغلوباً على أمره تارة يسلم عليه بالإمارة وتارة بالخلافة، فمكث سبعين يوماً، فثار عليه مروان بن محمد بن مروان وكان والي أذربيجان ودعا لنفسه بالخلافة وقدم الشام فاختمى إبراهيم، واستولى مروان، فأمن إبراهيم فظهر وقد ضاعت خلافته.

وقتل مع من قتل من بني أمية حين زالت دولتهم وقيل غرق بالزاب . (٧)

■ يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي (ت ١٩٠هـ) .

الوزير الكبير أبو علي الفارسي من رجال الدهر حزماً ورأياً وسياسة وعقلاً وحذاً بالتصرف، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربِّيَهُ ، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكاً، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة . (٨)

(٦) نوادير المخطوطات . ل عبد السلام هارون (١٥٦/٢) .

(٧) الأعلام . للزركلي (٧٩/١) .

(٨) السير (٨٩/٩) .

إلى أن نكَبَ هارون الرشيد البرامكة فغضب عَلَيْهِ، وخَلَّدَه الحبس إلى أن مات فِيهِ،
وَقَتَلَ جَعْفَرًا ابْنَهُ. (٩)

قال ابن كثير : وفي سنة سبع وثمانين ومائة كان مهلك البرامكة فيها كان مَقْتُلُ
الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، ودمار ديارهم واندثار آثارهم، وذهاب
صغارهم وكبارهم. (١٠)

قال ابن الأثير : وفي سنة ثلاث وتسعين ومائة مات الفضل بن يحيى بن خالد بن
برمك في الحبس بالرقفة، وكانت علته أنه أصابه ثقل في لسانه وشقه، فعولج أشهراً،
فبرأ. فلما صحَّ من علته وتحدث، عادته العلة، واشتدت عليه، وانعقد لسانه وطرفه،

(٩) قال ابن كثير - رحمه الله - : وقد اختلف في سبب نكبة هارون الرشيد للبرامكة على أقوال ذكرها أبو جعفر ابن
جرير وغيره من علماء التاريخ. اه قلت : وليس هذا مجالاً لسردها . أنظر : (البداية والنهاية ١٠/١٩٦ سنة ١٨٧هـ .
والفرج بعد الشدة ص ١٧٣ . ومقال هارون الرشيد ونكبة البرامكة . محمد الأباصيري . موقع الألوكة) .
ما قيل في الشاء على دولة البرامكة :

■ جاء في كتاب الفخري في الآداب السلطانية (١٩٧) : إن آل برمك ، كانت غرّة في جبهة الدّهر، وتاجا على
مفرق العصر ، فإن يحيى وبنوه كالتّجوم زاهرة والبحور زاخرة، والسيول دافعة، والغيوث ماطرة، أسواق الآداب عندهم
نافقة ومراتب ذوي الحرمات عندهم عالية والدنيا في أيامهم عامرة وأهمة المملكة ظاهرة، وهم ملجأ اللّهب ، ومعتصم
الطّريد . ولهم يقول أبو نواس :

سلام على الدنيا إذا ما فقدتم ... بني برمك من رائحين وغاد .

■ قال الجاحظ : البرامكة محض الأيام ، ولباب الكرام وملح الأنام ، عتق منظر وجوده مخبر، وجزالة منطق، وسهولة
لفظ، ونزاعة أنفس، واكتمال خصال . (العقد الفريد ٥/٤٩) .

■ قال محمد بن جميل الكتاب أحد كتاب الفضل بن يحيى : كان البرامكة شفاء سقام دهرهم، وغيث جذب
عصرهم، وما زالوا كهفاً للاجئين، ومفرعاً للملهوفين . (قطب السرور ١٨) .

■ وكان للبرامكة من السخاء والكرم ، ما لم يكن لأحد من الناس منها، إنهم كانوا يخرجون بالليل سرّاً ومعهم الأموال
يتصدقون بها، وربما دقوا على الناس أبوابهم فيدفعون إليهم الصرة فيها الثلاثة الآلاف إلى الخمسة الآلاف والأكثر من
ذلك والأقل، وربما طرحوا ما معهم في عتب الأبواب، فكان الناس لاعتيادهم ذلك يعدون إلى العتب إذا أصبحوا
يطلبون ما ألقى فيه. (المحاسن والمساوي ٩٤) .

(١٠) البداية والنهاية (١٠/١٩٦ سنة ١٨٧هـ) .

فمات في المحرم، وصلى عليه إخوانه في القصر الذي كانوا فيه، ثم أخرج فصلي عليه الناس، وجزع الناس عليه. (١١)

قال محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، قَالَ: قَالَ أَبِي لِأَبِيهِ يَحْيَىٰ بن خَالِد بن برمك، وَهم فِي الْقِيُودِ، وَالْحَبْسِ: يَا أبة، بَعْدَ الْأمرِ وَالنَّهْيِ وَالْأموالِ الْعَظِيمَةِ أَصَارنا الدَّهْرَ إِلَى الْقِيُودِ وَلبس الصَّفوفِ وَالْحَبْسِ؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: يَا بني دَعْوَةُ مَظْلُومٍ (١٢) سَرَتْ بَلِيلَ غَفَلْنَا عَنْهَا، وَلمْ يَغْفَلِ اللهُ عَنْهَا، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ رَبِّ قَوْمٍ قَدْ غَدُّوا فِي نِعْمَةٍ :: زَمَنًا وَالدَّهْرُ رِيَّانٌ غَدِقٌ سَكَتَ الدَّهْرُ زَمَانًا عَنْهُمْ :: ثُمَّ بَكَاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَقَ. (١٣)

■ أم جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي .

عن محمد بن عبد الرحمن الهاشمي خطيب الكوفة قال : دَخَلْتُ عَلَى أُمِّي يَوْمَ الْأَضْحَى، وَعِنْدَهَا عَجُوزٌ فِي أَثْوَابِ رِثَةٍ، فَقَالَتْ: تَعْرِفُ هَذِهِ؟ قُلْتُ: لَا : قَالَتْ: هَذِهِ وَالِدَةُ جَعْفَرِ الْبَرْمَكِيِّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهَا، وَرَحِبْتُ بِهَا، وَقُلْتُ: حَدِيثُنَا بَعْضُ أَمْرِكُمْ. قَالَتْ: لَقَدْ هَجَمَ عَلَيَّ مِثْلُ هَذَا الْعَيْدِ، وَعَلَى رَأْسِي أَرْبَعُ مِائَةِ جَارِيَةٍ، وَأَنَا أَزْعَمُ أَنَّ ابْنِي عَاقَ لِي، وَقَدْ أَتَيْتُكُمْ يَقْنَعُنِي جِلْدُ شَاتَيْنِ، أَجْعَلُ أَحَدَهُمَا فَرَاشًا لِي . قَالَ: فَأَعْطَيْتُهَا خَمْسَ مِائَةِ دِرْهَمٍ، فَكَادَتْ تَمُوتُ فَرِحًا. (١٤)

(١) الكامل . لابن الأثير (١٠/١٩٦ سنة ١١٨٧ هـ) .

(٢) ونظير ذلك ما حصل ل الأمير عز الدين أيبك الأشقر الشجاعي . توفي هو وابنه ومراثة وتمتة أحد عشر شخصاً من داره في شهر محرم من سنة (٧٠٧هـ) فكان يُرى أنّ ذلك بدعوة لحقته : فإنه لما توجه إلى بلاد الصعيد لإنشاء المراكب لغزو بلاد اليمن عيّن شجرة جُمَيْرَ ليقطعها ، وكانت تظل على مسجد فيه طائفة من الفقراء ، وينتفعون بشمرها . فأتاه رجلٌ فقال اللهم ، كما قطع شجرنا ، اقطعه واقطع شجره ! . ففي تلك الليلة مرض ، وركب من غده في النيل . وقدم إلى داره وهو مريض فمات وجميع من في داره (كتاب المقفى الكبير . ل المقرئ ٢/٣٣٣ رقم ٨٦٤) ط دار الغرب .

(٣) تاريخ الإسلام . للذهبي (١٦/١٩٥ رقم ٧٤١١) . ط بشار

(٤) السير (٩/٦٩) تاريخ بغداد (٧/١٥٦) الجليس الصالح (١/٤٤١) .

■ إبراهيم بن العربي .

كان والياً شديداً لضبط لولايته وكان على اليمامة ، وهي مخوفة بعيدة عن عصاة الملك ، فكافح فيها للصوص ، ونشر الأمن ، وأقر النظام حتى خشيه العصاة وكان أميراً مدة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد فلما استخلف سليمان وثب عليه اعداؤه واثقلوه بالحديد ، وسيروه إلى سجن المدينة . فأمكن اعداءه من نفسه تورعاً عن عصيان الخليفة ولكن ما لبث ان تبين أن أسريه الحقيقيين هم خصومه الشاغبون عليه ، وليس للخليفة من أرب في حبسه إلا تنصيب أنصاره على الأقاليم فتمنى لو توارى عن الأنظار في مجاهل الأرض وهو خبير بفجاجها ودروبها ، ولم يستسلم لأعدائه . وشعره يحدث ذلك : فقال :

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ سَلَعٍ لِّلْأَيْمِّ :: لِنَفْسِي وَلَكِنْ مَا يَرُدُّ التَّلَوُّمُ
أَأْمَكَنْتُ مِنْ نَفْسِي عُذْوِي ضَلَّةً :: أَهْقَى عَلَى مَا فَاتَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ
لَوْ أَنَّ صُدُورَ الْأَمْرِ يَبْدُونَ لِلْفَتَى :: كَأَعْقَابِهِ لَمْ تُلْفِهِ يَتَنَدَّمُ
لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ فِجَاجٌ عَرِيضَةٌ :: وَلَيْلٌ سَخَامِي الْجُنَاحِينَ أَدْهَمُ
إِذِ الْأَرْضُ لَمْ تَجْهَلْ عَلَيَّ فُرُوجُهَا :: وَإِذْ لِي عَنْ دَارِ الْهُوَانِ مُرَاغَمُ
فَلَوْ شِئْتُ إِذْ بِالْأَمْرِ يُسْرٌ لَقَلَّصْتُ :: بِرِخْلِي فَتَلَاءُ الدَّرَاعِينَ عَيْنَهُمْ
عَلَيْهَا دَلِيلٌ بِالْفَلَاةِ نَهَارُهُ :: وَبِاللَّيْلِ لَا يُحْطِي لَهَا الْقَصْدَ مَنْسِمُ .^(١٥)

(١٥) معجم البلدان (٢٦٨/٣ رقم ٦٥٣٣ ماد سَلَعُ) ديوان الحماسة . ل أبي تمام (٣١٧/١) الأسر والسجن في شعر العرب (١٦٩) .

الوزير الفضل بن الربيع بن يونس كان أبوه وزيراً للمنصور العباسي (ت ٢٠٨ هـ)

واستحجبه المنصور لما ولى أباه الوزارة، فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان صاحب الترجمة من كبار خصومهم، حتى ضربهم الرشيد تلك الضربة، قال صاحب غريال الزمان: وكانت نكبتهم على يديه.

وولي الوزارة إلى أن مات الرشيد واستخلف الأمين، فأقره في وزارته، فعمل على مقاومة المأمون ولما ظفر المأمون استتر الفضل سنة (١٩٦ هـ) ثم عفا عنه المأمون وأهمله بقية حياته. وتوفي بطوس. (١٦)

■ الوزير أبو جعفر محمد بن الزيات (ت ٢٣٣ هـ).

الوزير الأديب أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن الزيات. كان والده زياتاً سوقياً، فسَادَ هذا بالأدب وفنونه، وبراعة النظم والنثر، ووزر للمعتصم وللوائق، وكان معادياً لابن أبي دواد، فأغرى ابن أبي دواد المتوكل، حتى صادر ابن الزيات، وعذبه.

وكان يقول بخلق القرآن، ويقول: ما رحمت أحدا قط، الرحمة خور في الطبع .

فسجن في قفص حرج، جهاته بمسامير كالمسال، فكان يصيح: ارحموني.

فيقولون: الرحمة خور في الطبيعة .

مات: في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين.

وقال ابن خلكان وكان ابن الزيات المذكور قد اتخذ تنوراً من حديد وأطراف مساميره المحددة إلى داخل، وهي قائمة مثل رؤوس المسال، في أيام وزارته، وكان يعذب فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال، فكيفما انقلب واحد

(١٦) الأعلام . للزركلي (١٤٨/٥) .

منهم أو تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه، فيجدون لذلك أشد الألم لم يسبقه أحد إلى هذه المعاقبة، وكان إذا قال أحد منهم أيها الوزير ارحمني، فيقول له: الرحمة خور في الطبيعة، فلما اعتقله المتوكل أمر بإدخاله في التنور، قيده بخمسة عشر رطلاً من الحديد فقال: يا أمير المؤمنين ارحمني، فقال له: الرحمة خور في الطبيعة كما كان يقول للناس، فطلب دواة وبطاقة فأحضرتا إليه فكتب :

هي السبيل فمن يوم إلى يوم ... كأنه ما تريك العين في النوم

لا تجزعن رويداً إنها دول ... دنيا تنقل من قوم إلى قوم .

وسيرها إلى المتوكل، فاشتعل عنها ولم يقف عليها إلا في الغد، فلما قرأها المتوكل أمر بإخراجه، فجاءوا إليه فوجدوه ميتاً، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وكانت مدة إقامته في التنور أربعين يوماً .^(١٧)

■ محمد بن أحمد بن زياد الفارسي القيرواني . (ت ٣١٨هـ) .

أبو جعفر الفقيه البليغ القلم، ومذهبه المناظرة ولا يرى التقليد. وكان من ذوي الجاه، وله ثروة، ثم امتحن في آخر عمره بمغارم عبيد الله المهدي على أهل الضياع وافتقر بعد غنى، وهذا يدل على السياسة الضرائبية المجحفة عند العبيديين، وجمع الأموال من الرعية بعناوين ظالمة حتى يفتقر من كان غنياً، ولما افتقر بعد غناه لجأ بنفسه إلى محمد بن أحمد البغدادي متوسلاً به إلى عبيد الله المهدي يسأله التخفيف بأي وجه رآه، وهش البغدادي إلى حاجته وقال له: إن هذه المغارم لم يفتح السلطان قط فيها باباً من التخفيف لولد من أولاده ولا لقائد من قواده، ولكن نسأله لك صلة تستعين بها على دهرك، فكم تحب أن نسأله لك من مال؟

(١٧) السير (١١ / ١٧٢) وفيات الأعيان (٤ / ٣٤٣ رقم ٦٩٦) .

وبعد محاورة مع البغدادي وإجراءات تربيية مع عبيد الله المهدي مُنح ستين مثقالاً .
(١٨)

■ محمد بن علي بن الحسين بن مقلة أبو علي (ت ٣٢٨ هـ) .
وزير من الشعراء الأدباء يضرب بحسن خطه المثل ولد في بغداد وولي جباية الخراج
في بعض أعمال فارس ثم استوزره المقتدر العباسي سنة (٣١٦ هـ) ولم يلبث أن
غضب عليه فصادره ونفاه إلى فارس سنة (٣١٨ هـ) واستوزره القاهر بالله سنة (٣٢٠ هـ)
فجئ به من بلاد فارس، فلم يكذ يتولى الأعمال حتى اتهمه القاهر
بالمؤامرة على قتله، فاختم سنة (٣٢١ هـ) واستوزره الرازي بالله سنة (٣٢٢ هـ) ثم
نقم عليه سنة (٣٢٤ هـ) فسجنه مدة، وأخلى سبيله. ثم علم أنه كتب إلى أحد
الخارجين عليه يطمعه بدخول بغداد، فقبض عليه وقطع يده اليمنى، فكان يشد
القلم على ساعده ويكتب به، فقطع لسانه سنة (٣٢٦ هـ) وسجنه، فلحقه في
حبسه شقاء شديد حتى كان يستقي الماء بيده اليسرى ويمسك الحبل بفمه. ومات
في سجنه . (١٩)

■ الخليفة محمد بن أحمد الملقب القاهر بالله (ت ٣٣٣ هـ) .
قال ابن كثير - رحمه الله - : وفي سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة أمر المستكفي
بإخراج القاهر الذي كان خليفة وأنزله دار ابن طاهر، وقد افتقر القاهر حتى لم يبق
له شيء من اللباس سوى قطعه عباءة يلتف بها، وفي رجله قبقاب من خشب. (٢٠)

(١٨) تراجم المؤلفين التونسيين . ل محمد محفوظ (٢/٤٣٠ رقم ٢٢٥).

(١٩) الأعلام . للزركلي (٦/٢٧٣) .

(٢٠) البداية والنهاية (١١/٢٢٤ سنة ٣٣٣ هـ) .

■ محمد بن عبيد الله أبو القاسم القائم ابن المهدي العبيدي (ت ٣٣٤هـ). صاحب المغرب. ويسمى نزاراً. ولد ونشأ في سلمية (بسورية) ودخل المغرب مع أبيه. ولما استقر أبوه في ملك المغرب جهزه إلى مصر مرتين سنة (٣٠١هـ) وسنة (٣٠٧هـ) فملك في الأولى الإسكندرية والفيوم، وفي الثانية وصل إلى الجيزة وقاتله جيش المقتدر العباسي بقيادة (مؤنس) فعاد القائم إلى المغرب. وبويع بعد موت أبيه سنة (٣٢٢هـ) وهو ثاني ملوك الدولة الفاطمية العبيدية، وأول من تلقب بأمير المؤمنين فيها. مات محصوراً بالمهدية. قال الذهبي: كان شجاعاً مهيباً قليل الخير، فاسد العقيدة، أصيب بوسواس وزال عقله، فأظهر سب الأنبياء، وكان مناديه يصيح: (العنوا الغار وما حوى!) وأباد عدة من العلماء، وكان يرأسل قرامطة البحرين ويأمرهم بإحراق المساجد والمصاحف. (٢١)

■ محمد بن أحمد بن طلحة العباسي ابن المعتضد ابن الموفق من خلفاء الدولة العباسية. (ت ٣٣٩هـ).

بويع ولقب القاهر بالله : كان أهوج، سفاكاً للدماء، قبيح السيرة، كثير التلون والاستحالة، مدمن الخمر، ولولا جودة حاجبه سلامة لأهلك الحرث والنسل. وكان قد صنع حربة يحميها، فلا يطرحها حتى يقتل بها إنساناً. ولم تحسن سيرته، فهاج الجند وخلعوه وكحلوا عينيه بالنار بمسمار محمى، دفعتين. وهو أول من سمل من الخلفاء. وحبسوه ثم أطلقوه.

فوقف يوماً بالجامع بين الصفوف، وعليه جبة بيضاء وقال: تصدقوا عليّ ، فأنا من قد عرفتم. وأراد أن يشنع على الخليفة المستكفي، فقام إليه ابن أبي موسى الهاشمي، فأعطاه ألف درهم، فمنعوه من الخروج. (٢٢)

(٢١) سير الأعلام (١٠١/١٥) تاريخ الخلفاء (٢٨١) الأعلام . للزركلي (٣٠٩/٥) .

(٢٢) الأعلام . للزركلي (٢٥٩/٦) .

■ إبراهيم بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق بن المتوكل أبو إسحاق. (ت ٣٥٧هـ).

خليفة عباسي ولي الخلافة بعد موت أخيه الراضي بالله سنة (٣٢٩هـ) ودامت خلافته أربع سنين إلا شهراً وأياماً، كان فيها المسيطرون على الملك في أيام سلفه مسيطرون عليه، غير أنه وفق لاستبدال أشخاص بأشخاص. وكان موصوفاً بالصلاح والتقوى، يقول: نديمي المصحف. وفي أيامه تولى إمارة الأمراء (توزون) التركي سنة (٣٣١هـ) وخافه المتقي فخرج بأهله من بغداد عاصمته إلى الموصل ومنها إلى الرقة. وتوزون يأمر وينهي. وفي سنة (٣٣٣هـ) بعث إلى توزون يستأمنه، فأقسم له بالأمان، فركب الفرات وبلغ السندية فقبض عليه توزون وخلعه، وسمل عينيه، وجيء؟ به إلى بغداد، فسجن وهو أعمى إلى أن مات. (٢٣)

■ الوزير أبو الفضل الشيرازي (ت ٣٦٢هـ).

ذكر الذهبي - رحمه الله - أن الوزير الكبير، أبو الفضل الشيرازي، غضب على أهل بغداد لقتلهم جنداراً، فأمر بإلقاء النار في الأسواق، فاحترق من النحاسين إلى السماكين، واحترق عدة من الرجال والنساء والأطفال، وراحت الأموال، دخل في ذلك الحريق من بيوت الله ثلاثة وثلاثون مسجداً وست مائة بيت ودكان، وكثر الدعاء عليه، وشتموه في وجهه، ثم قبض عليه عز الدولة، وطرد إلى الكوفة، فسقي سم الذراريح، فهلك سنة بضع وستين وثلاث مائة. (٢٤)

(٢٣) الأعلام . للزركلي (٣٥/١) .

(٢٤) السير (٣٠٨ / ١٦) .

■ علي بن محمد بن الحسين البستي، أبو الفتح (ت ٤٠٠هـ) .

شاعر عصره وكاتبه. ولد في بست (قرب سجستان) وإليها نسبته. وكان من كتاب الدولة السامانية في خراسان، وارتفعت مكانته عند الأمير سُبُكْتِكِينَ ، وخدم ابنه يمين الدولة (السلطان محمود، ابن سبكتكين) ثم أخرجته هذا إلى ما وراء النهر، فمات غريبا في بلدة . وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها: " .

زيادةُ المرءِ في دُنْيَاهُ نَقْصَانٌ :: وَرَبُّهُ غَيْرَ مَحْضِ الْخَيْرِ خُسْرَانٌ

وَكُلُّ وَجْدَانٍ حَظٌّ لَا ثَبَاتَ لَهُ :: فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ فُقْدَانٌ . (٢٥)

■ حمزة بن إبراهيم المعروف بأبي الخطاب . (ت ٤١٨هـ)

منجم اتصل ببهاء الدولة البويهى (صاحب كرمان) وعظم جاهه عنده، حتى كان الوزراء يخدمونه، وحمل إليه فخر الملك مئة ألف دينار فاستقلها. ثم نكب وصار أمره إلى الضيق والفقر والغربة. ومات مفلوجا بكرخ سامراء ورثاه الشريف المرتضى . (٢٦)

هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر أبو بكر المعتد بالله
آخر ملوك بني أمية بالأندلس (ت ٤٢٨هـ) .

كان مقيما في حصن " ألبونت " من ثغور قرطبة. وبويع بعد وفاة المستكفي بالله سنة (٤١٨هـ) فكان يخطب له في قرطبة، وهو بألبونت وتنقل في بعض الثغور، والفتن قائمة في البلاد، لا قدرة له على قمعها. ودخل قرطبة في أواخر سنة (٤٢٠هـ) فأقام قليلا، وثارت ... به طائفة من الجند، فخلعوه وأخرجوه من قصره هو ونسأؤه وخدمه سنة (٤٢٢هـ) فلجأ إلى جامع قرطبة بمن معه، وأقام أياما

(٢٥) الأعلام . للزركلي (٣٢٦/٤) .

(٢٦) الأعلام . للزركلي (٢٧٦/٢) .

يعطف عليه الناس بالطعام والشراب. ولحق بسليمان ابن هود فأقام عنده إلى أن مات . (٢٧)

عبد الله بن الوليد المُعَظِي . (ت ٤٣٢هـ)

من سلالة أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية ابن عبد شمس، أبو عبد الرحمن : نبيل، بويع بالخلافة في شرقي الأندلس، وخطب باسمه، ثم خلع. ورحل في آخر عمره إلى كتامة وتوفي بها. (٢٨)

■ المأمون يحيى بن إسماعيل الهواري ملك طليطلة . (ت ٤٦٠هـ)

أبو زكريا يحيى ابن صاحب طليطلة الأمير إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر الهواري، الأندلسي. استولى أبوه على البلد بعد العشرين وأربع مائة، ونزعوا طاعة المروانية، وتملك المأمون بعد أبيه سنة خمس وثلاثين ، فامتدت أيامه خمسا وعشرين سنة، عاكفا على اللذات والخلاعة، وصادر الرعية، وهادن العدو، وقدم الأطراف، فطمعت فيه الفرنج، بل في الأندلس؛ وأخذت عدة حصون إلى أن أخذوا منهم طليطلة في سنة ثمان وسبعين وأربع مائة، وجعلوها دار ملكهم - فإننا لله وإنا إليه راجعون - وكان المأمون أراد أن يستنجد بالفرنج على تملك مدائن الأندلس، فكتب طاغيتهم: أن تعال في مائة فارس، والملتقى في مكان كذا، فسار في مائتين، وأقبل الطاغية في ستة آلاف، وجعلهم كميناً له، وقال: إذا رأيتمونا قد اجتمعنا، فأحيطوا بنا. فلما اجتمع الملكان، أحاط بهم الجيش، فندم المأمون، وحرار، فقال الفرنجي: يا يحيى! وحق الإنجيل كنت أظنك عاقلاً، وأنت أحمق! جئت إلي، وسلمت مهجتك بلا عهد ولا عقد، فلا نجوت مني حتى تعطيني ما أطلب. قال: فاقصد.

(٢٧) الأعلام . للزركلي (٨٨/٨) .

(٢٨) الأعلام . للزركلي (٢٧٦/٢) .

فسمى له حصونا، وقرر عليه مالا في كل سنة، ورجع ذليلا مخذولا، وذلك بما قدمت يداه. (٢٩)

■ **محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس الغنوي ابن حيُّوس (ت ٤٧٣هـ)**
الأمير أبو الفتيان، مصطفى الدولة شاعر الشام في عصره. يلقب بالإمارة، وكان أبوه من أمراء العرب. ولد ونشأ بدمشق. وتقرب من بعض الولاة والوزراء بمدائحهم وأكثر من مدح (أنوشتكين الدزيري) من وزراء الفاطميين، وله فيه ٤٠ قصيدة . ولما اختل أمر الفاطميين وعمت الفتن بلاد الشام، ضاعت أمواله ورقت حاله، فرحل إلى حلب وانقطع إلى أصحابها (بني مرداس) فمدحهم وعاش في ظلالهم إلى أن توفي، بحلب. (٣٠)

■ **المعتمد بن عباد محمد بن عباد بن محمد بن اللحمي (ت ٤٨٨هـ)**.
صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولهما، وأحد أفراد الدهر شجاعة وحزما وضبطا للأموار. ولد في باجة (بالأندلس) وولي إشبيلية بعد وفاة أبيه سنة (٤٦١هـ) وامتلك قرطبة وكثيرا من المملكة الأندلسية، واتسع سلطانه إلى أن بلغ مدينة مرسية (وكانت تعرف بتدمير) وأصبح محط الرحال، يقصده العلماء والشعراء والأمراء، وما اجتمع في باب أحد من ملوك عصره ما كان يجتمع في باب من أعيان الأدب. وكان فصيحاً شاعراً وكاتباً مترسلاً، بديع التوقيع. (٣١)

وفي أبيه المعتضد يقول بعض لشعراء :

من بني المنذرين وهو انتساب :: زاد في فخره بنو عباد

(٢٩) السير (١٨ / ٢٢٠) .

(٣٠) الأعلام . للزركلي (٦ / ١٤٦) .

(٣١) الأعلام . للزركلي (٦ / ١٨١) .

فتية لم تلد سواها المعالي :: والمعاني قليلة الأولاد . (٣٢)

وللمعتمد أخبار مأثورة خصوصاً مع زوجته أم أولاده الرميكية الملقبة باعتماد، وقد روي أنّها رأت ذات يوم بإشبيلية نساء البادية يعن اللبن في القرب وهنّ رافعات عن سوقهنّ في الطين، فقالت له: أشتهي أن أفعل أنا وجواريّ مثل هؤلاء النساء، فأمر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد، وصيّر الجميع طيناً في القصر، وجعل لها قرباً وحبلاً من إبريسم، وخرجت هي وجواريها تخوض في ذلك الطين، فيقال: إنّهُ لما خلع وكانت تتكلّم معه مرّة فجرى بينهما ما يجري بين الزوجين، فقالت له: والله ما رأيت منك خيراً، فقال لها: ولا يوم الطين؟ تذكيراً لها بهذا اليوم الذي أباد فيه من الأموال ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى، فاستحيت وسكتت. (٣٣)

ورغمّ هذا فقد خلع يوسف بن تاشفين المعتمد بن عباد سنة (٤٨٤ هـ) في دخوله الثاني للأندلس ، فقد اقتحم المرابطون إشبيلية عنوة، فخرج المعتمد يقاتلهم بنفسه عند باب قصره غير وجيلٍ ولا هيّاب مدّة ستّة أيام، ولكن ذلك لم يدفع عنه شيئاً، فوقع أسيراً واستولى المرابطون على إشبيلية في ٢٢ رجب ٤٨٤ هـ فنُفي مع من سلّم من القتل والسبي من عائلته إلى أغمات، وكان قد سبق المعتمد إلى هذا المنفى عبدالله بن بلقين أمير غرناطة، ويبدو أنّ ابن اللبانة كان حاضراً، فرسم لنا دقائق وداع النَّاس للمعتمد:

حَانَ الْوَدَاعُ فَضَجَّتْ كُلُّ صَارِحَةٍ وَصَارِحٍ مِنْ مُفَدَّاةٍ وَمِنْ فَادِي
سَارَتْ سَفَائِنُهُمْ وَالنَّوْحُ يَتْبَعُهَا كَأَنَّهَا إِبِلٌ يَحْدُو بِهَا الْحَادِي
كَمْ سَالَ فِي الْمَاءِ مِنْ دَمْعٍ وَكَمْ حَمَلَتْ تِلْكَ الْقَطَائِعُ مِنْ قِطْعَاتِ أَكْبَادِ

(٣٢) وفيات الأعيان (٤ / ٢٧٤ رقم ٦٨٦) .

(٣٣) نفع الطيب (١ / ٤٤٠) .

واشتدت وطأة الأسر على زوجته اعتماد الرميكية، ولم تقوَ طويلاً على مغالبة المحنة، فتوفيت قبله، ودُفنت بأغمات على مقربة من سجنه، وطال أسر المعتمد فبلغ نحو أربع سنوات حتى توفي وهو في السجن .

وكما قيل: مات بها "ذليلاً فقيراً، على حال يوحش سماعها" .

" وقد نُودي في جنازته: الصلاة على الغريب"، فلقبي ربّه في ١١ شوال ٤٨٨ هـ ودُفن إلى جانب زوجته. (٣٤)

قال المقرئ: من النادر الغريب أنه نودي في جنازته " الصلاة على الغريب " بعد عظم سلطانه، وسعة أوطانه، وكثرة صقلته وحبشانه، وعظم أمره وشانه، فتبارك من له العزة والبقاء والدوام . (٣٥)

■ بثينة بنت المعتمد بن عباد .

وأما الرميكية السابقة الذكر، وكانت بثينة هذه نحواً من أمها في الجمال والنادرة ونظم الشعر، ولما أحيط بأبيها ووقع النهب في قصره كانت من جملة من سبي، ولم يزل المعتمد والرميكية عليها في وله دائم لا يعلمان ما آل إليه أمرها إلى أن كتبت إليهما بالشعر المشهور المتداول بين الناس بالمغرب، وكان أحد تجار إشبيلية اشتراها على أنها جارية سرية ووهبها لابنه، فنظر من شأنها وهيئت له، فلما أراد الدخول عليها امتنعت، وأظهرت نسبها، وقالت: لا أحل لك إلا بعقد نكاح إن رضي أبي بذلك الذي، وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لأبيها، وانتظار جوابه، فكان الذي كتبه بخطها من نظمها ما صورته:

اسمع كلامي واستمع لمقالي :: فهي السلوك بدت من الأجياد

لا تنكروا أبي سبيت وأنني :: بنت ملك من بني عباد

ملك عظيم قد تولى عصره :: وكذا الزمان يؤول للإفساد

(٣٤) الوافي بالوفيات (١٥٣/٣) . مقال المعتمد بن عباد ودون خوان مانويل (١) . د. جاسم العبودي . موقع الألوكة

(٣٥) نفع الطيب (٢٥٩/٤) .

لما أراد الله فرقة شملنا :: وأذاقنا طعم الأسي عن زاد
قام النفاق على أبي في ملكه :: فدنا الفراق ولم يكن بمراد
فخرجت هاربة فحازني امرؤ :: لم يأت في إعجاله
بسداد إذ باعني بيع العبيد فضمني :: من صانني إلا من الانكاد
وأرادني لنكاح نجل طاهر :: حسن الخلائق من بني الأنجاد
ومضى إليك يسوم رأيك في الرضى :: ولأنت تنظر في طريق رشادي
فعساک يا أبتی تعرفني به :: إن كان ممن يرتجى لوداد
وعسى رميكية الملوك بفضلها :: تدعو لنا باليمن والإسعاد .
فلما وصل شعرها لأبيها وهو بأغمات، واقع في شرك الكروب والأزمات، سر هو
وأمرها بجياتها، ورأيا أن ذلك للنفس من أحسن أمنياتها، إذ علما مآل أمرها، وجبرها
كسرهما، إذ ذلك أخف الضررين، وإن كان الكرب قد ستر القلب منه حجاب
رين، وأشهد على نفسه بعقد نكاحها من الصبي المذكور، وكتب إليها أثناء كتابه
مما يدل على حسن صبره المشكور:
بنيتي كوني به برة :: فقد قضى الوقت بأسعافه .
وأخبار المعتمد بن عباد تذيب الأكباد .^(٣٦)

■ **علي بن الحسن بن علي أبو الحسن بن أبي علي العطار (ت ٥٢٢هـ) .**
كان أبوه مقدم الشهود بدمشق، وسمّعه الحديث الكثير، وكان أبوه مثرياً، فاشترى له
جارية مغنية، فتعلم منها الغناء، ثم افتقر، فكان يغني في مجالس الشرب، ويشرب
الخمير، إلى أن كبر وضعف، وساءت حاله، ثم رغب في التوبة فتاب، وترك الغناء
مدة.^(٣٧)

^(٣٦) نفع الطيب (٢٨٤/٤) .

^(٣٧) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر . لابن منظور (٢١٩/١٧) .

■ الحسين بن الحسين بن عبد الله أبو الحكم الكلبي ابن حسون (ت ٥٤٧هـ)
قاض من جبابرة الأمراء بالأندلس، أيام ملوك الطوائف. نشأ في أسرة وجيهة بمالقة.
وتولى قضاءها (٥٣٨هـ) ودعا إلى نفسه كما صنع كثير من القضاة في ذلك العهد
وقام بالإمارة والقضاء وكان في جواره بعض (المرابطين) فواصلوا الغارات عليه. وزلت
قدمه فكاتب الفرنج، ولكن أهل البلد اتفقوا مع أحد خدامه ويعرف باللوشي،
فثاروا على ابن حسون وقتلوا أخاه له كان قائد جيشه.
وضاع رشده فقتل بعض بناته غيراً عليهن من السبي، وأطلق النار في كتبه فأحرقها،
وشرب سما فلم يقتله وتناول رحماً فتحامل على سنانه إلى أن خرج من ظهره، ولم
يمت. ودخل الثوار القصر فرأوه في هذه الحال. ومات بعد يومين. وصلبت جثته
وحمل رأسه إلى مراکش. واستولى الموحدون على مالقة بعده. (٣٨)

■ زُمُرْد خاتُون . (ت ٥٥٧هـ)

زمرد خاتون، صفوة الملوك، بنت الأمير جاوي: حازمة عالمة، دمشقية. هي أخت
الملك (دقاق) صاحب دمشق، لأمه، وزوجة تاج الملوك (بوري) وأم ولديه إسماعيل
(شمس الملوك) ومحمود. روت الحديث واستنسخت الكتب وحفظت القرآن. وبنت
بدمشق المدرسة (الخاتونية البرانية) وهي الآن من الدوارس. ورأت ولدها (شمس
الملوك إسماعيل) قد تمادى في غيه وكثر فساده وتواطأ مع الفرنج على بلاد المسلمين
، فأمرت غلمانها أن يقتلوه، فقتلوه سنة (٥٢٩هـ) وأجلست أخاه (شهاب الدين
أبا القاسم محمود بن بوري) مكانه، ثم قتل هذا سنة (٥٣٣هـ) وتقلبت بها
الأحوال، فتوجهت إلى بغداد، ثم إلى مكة، وجاورت بالمدينة. وقل ما بيدها،

(٣٨) الأعلام .للزركلي (٢ / ٢٣٥) .

فكانت تغربل القمح والشعير، وتطحن، وتتقوت بأجرة ذلك ، إلى أن توفيت .
ودفنت بالبقيع . (٣٩)

■ قال ابن كثير في أحداث سنة (٥٧٣هـ) .

وفيهَا خَرَجَ وَزِيرُ الْخَلِيفَةِ عَضُدُ الدَّوْلَةِ ابْنُ رَيْسِ الرُّوسَاءِ ابْنُ الْمُسْلِمَةِ قَاصِدًا الْحَجَّ،
وَخَرَجَ النَّاسُ فِي خِدْمَتِهِ لِيُودِّعُوهُ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْبَاطِنِيَّةِ فِي صُورَةٍ فُقَرَاءَ
وَمَعَهُمْ قِصَصٌ، فَتَقَدَّمَ أَحَدُهُمْ لِيُنَاوِلَهُ الْقِصَّةَ فَضَرَبَهُ بِالسِّكِّينِ ضَرْبَاتٍ، وَهَجَمَ
الثَّانِي، وَكَذَلِكَ الثَّلَاثُ فَهَبَرُوهُ وَجَرَحُوا جَمَاعَةً حَوْلَهُ، وَقُتِلَ الثَّلَاثَةُ مِنْ فَوْرِهِمْ وَحُرِّقُوا،
وَرَجَعَ الْوَزِيرُ إِلَى مَنْزِلِهِ مَحْمُولًا فَمَاتَ فِي يَوْمِهِ، وَهَذَا الْوَزِيرُ هُوَ الَّذِي قَتَلَ وَلَدِي
الْوَزِيرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ وَأَعَدَمَهُمَا، فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ قَتَلَهُ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، جَزَاءً
وَفَاقًا. { وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } [فصلت: ٤٦] . (٤٠)

■ عُبَيْدُ اللَّهِ بنِ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْفَرَّاءِ ابْنِ الْقَاضِي أَبِي يَعْلى . (ت ٥٨٠هـ) .

سمعه أبوه الكثير من أبي منصور عبد الرحمن القرّاز، وأبي منصور بن خيرون، وأبي
عبد الله السلال، وأبي الحسن بن عبد السلام. وطلب هو بنفسه .
قال ابن النجار: وكانت داره مجمعا لأهل العلم والشيخوخ، وينفق عليهم ويتكرم.
وكان لطيفا حسن الأخلاق ذا مروءة.
قرأ الفقه وشهد على القضاة، ثم عُزِلَ لما ظهرت منه أشياء لا تليق بأهل الدين قبل
موته بقليل، سمع منه ابن الأخضر، وكان يصفه بالسخاء والعطاء، وقال لي ابن
القطيعي: كان عدلا في روايته ضعيفا في شهادته، مات سنة ثمانين في آخرها. مرض
بالفالج أسبوعا. ومولده سنة سبع وعشرين.
وكان آخر من بقي من ذرية القاضي أبي يعلى ممن له حشمة وجاه ومنصب.

(٣٩) الأعلام . للزركلي (٤٩/٣) .

(٤٠) البداية والنهاية (١٢ / ٣١٨ سنة ٥٧٣هـ) .

وكان له دار واسعة، وعنده أكثر كتب أبي يعلى، ثم افتقر فباع أكثرها. (٤١)

■ علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري الدمشقي، الحنبلي الواعظ المعروف بابن نجية (ت ٥٩٩هـ).

وُلِدَ بدمشق سنة ثمانٍ وخمس مائة .

وعظ بجامع القرافة مدة طويلة. وكان صدرًا محتشمًا، نبيلًا، ذا جاهٍ ورياسة، ودنيا واسعة، وتقدّم عند الدولة .

قال ابن النجار : كان مليح الوعظ، لطيف الطبع، حلو الإيراد، كثير المعاني، متدينا، حميد السيرة، ذا منزلة رفيعة، وهو سبط الشيخ أبي الفرج.

قال الإمام أبو شامة: كان كبير القدر، معظمًا عند صلاح الدين .

قال أبو المظفر ابن الجوزي: واقتنى ابن نجية أموالاً عظيمة، وتنعم تنعمًا زائدًا، بحيث أنه كان في داره عشرون جارية للفراش تساوي كلُّ واحدة ألف دينار وأكثر. وكان يُعمل له من الأطعمة ما لا يعمل للملوك. وأعطاه الخلفاء والملوك أموالاً عظيمة، ومع هذا مات فقيرًا. كَفَّنَه بعض أصحابه. (٤٢)

■ مُحَمَّدُ بْنُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلِيِّ (ت ٦٠٠هـ).

سَمِعَ أبا الوقت وسعيد بن البناء، حدث بشيء يسير، لم أسمع منه توفي في ذي القعدة سنة ستمائة. (روى عنه ابن النجار وقال: كَانَ طحانًا كثير الأموال ثُمَّ افتقر وجلس في رباط والده ولم تكن طريقته مرضية). (٤٣)

(٤١) تاريخ الإسلام . للذهبي (١٢/٦٤١ رقم ٣٤٤) ط بشار .

(٤٢) تاريخ الإسلام . للذهبي (١٢/١١٧٥) السير (٢١/٣٩٥) .

(٤٣) تاريخ بغداد (١٥/٤٢ رقم ١٤٣)

■ أسعد بن المهذب بن أبي المليح مماتي (ت ٦٠٦هـ) .

وزير أديب كان ناظر الدواوين في الديار المصرية مولده بمصر ووفاته بحلب وكان نصرانياً، فأسلم هو وجماعته في ابتداء الدولة الصلاحية. قال القفطي: من أقباط مصر في عصرنا، وكان جده جوهرياً، يصبغ البلور صبغة الياقوت فلا يعرفه إلا الخبير بالجواهر.

ثم ضاقت عليه الدنيا بما رحبت واختفى في مقبرة تسمى مقبرة الماذرائيين قال : وأقمت بها مدة عام كامل وضاق الأمر عليّ فهربت قاصداً للشام على اجتهاد من الاستتار ، فلحقني في بعض الطريق فارس مجدّ فسلم عليّ وسلّم إليّ مكتوباً ففضضته وإذا هو من الصقيّ ابن شكر يذكر فيه: لا تحسب أن اختفائك عني كان بحيث لا أدري أين أنت ولا أين مكانك، فاعلم أن أخبارك كانت تأتيني يوماً يوماً وأنت كنت في قبور الماذرائيين بالقرافة منذ يوم كذا، وأني اجترت هناك واطلعت فرأيتك بعيني، وأنت لما خرجت هارياً عرفت خبرك، ولو أردت ردّك لفعلت، ولو علمت أنك قد بقي لك مال أو حال لما تركتك، ولم يكن ذنبك عندي مما يبلغ أن أتلف معه نفسك، وإنما كان مقصودي أن أدعك تعيش خائفاً فقيراً غريباً مهجّجاً في البلاد، فلا تظنّ أنك هربت مني بمكيذة صحّت لك عليّ، فاذهب إلى غير دعة الله. قال: وتركني القاصد وعاد، فبقيت مبهوتا إلى أن وصلت إلى حلب. (٤٤)

■ أبي يحيى محمد بن علي ابن أبي عمران التملي والي ميورقة (ت ٦٢٧هـ)

قال المخزومي : هذا الرجل كان بالجزيرة قد استبد بإمرتها ، واحتوى على فلاحتها وتجارها وعني بجمع المال الجمّ ولم يخرجه في وجه من وجوه البرّ والإثم ، وفارق شهواته غير هذه الشهوة ، وظن أنه جمع من الكنوز .

(٤٤) معجم الأدباء (٢/٦٣٥) الأعلام للزركلي (١/٣٠٢) .

ولما ثارت الأندلس على طائفة عبد المؤمن كان الوالي بجزيرة ميورقة أبو يحيى المذكور فأخذها الفرنج منه ، يوم الاثنين الرابع عشر من صفر سنة سبع وعشرين وستمائة . والنصارى أهل جزاف يقبلون محالاً ، ويقولون إن المسلمين أكثر أهل الأرض مالا ، فلما حصل عندهم لم يشكّوا أن في ورقه وعينه وفاء بوسق مراكبهم . فقالوا له أين الكنوز ، وجوّزوا من كثرتها ما يحكم العقل بأنه لا يجوز ، ولم يجدوا له ذلك العدد الدّثر إلا مقدار الثمن فيما باع مدّة الحصر ، فأسلموه إلى العذاب المهين وظنّوه بالعين عين الضّنين ، وجمعوا له عداوة المنع إلى عداوة الدّين . وعاش خمسة وأربعين يوماً في النكال الشديد والهول المذيب للحديد وسيّم أنواع البلاء في ليله ونهاره وحمل من ثقل السطوة به ما لعلّة يخفف من أوزاره . ومن جملة ما طرأ له في هذه الأيام أن حُمل إلى أحد معاقل الجزيرة وأهله به ممتنعون ، ولذّب عن حماه مجتمعون ، فأمر أن يكلمهم في النزول والتسليم ، وأطمع أن يُخفّف عنه من العذاب الأليم ، فدعاهم فما لبّوه ، وأمرهم بالانقياد فعصوه . فأحضر النصارى له ولداً سنّه ستة عشر عاماً ، ضربوا بين يديه عنقه تنكيلاً له وإرغاماً ، ثم أحضروا آخر ليقتلوه فتنصّر ، وبذلك كف عنه قاتله وأقصر . ثم إنه رُدّ إلى البلد ، وأبقي في العذاب الذي لا بقاء عليه للجلد ، فما بضّ لهم بقطرة من البحار المظنونة ، ولا أباحهم ما قيل من الأموال المصونة ، فقضى العجب من أمره ، وتحدث من شاهد بجميل صبره ، ومات تحت العذاب ، ولحق بمن عنده أم الكتاب ، وأذن ملك الروم لأهله في غسله وقبره ، وأخبرهم بأن ما جرى عليه لم يكن من رأيه ولا عن أمره ، واصطفى من بناته من اختار ، وسائر

أهله قاسوا مع الأسارى الإسار . (٤٥)

■ إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (ت ٦٢٩ هـ) .

أبو العلاء، الملقب بالمأمون: من خلفاء دولة الموحدين بمراكش. يرتفع نسبه إلى قيس عيلان من مضر. اتفق مترجموه على وصفه بالشجاعة والاضطلاع في الأدب والفقه والحديث، وقد كان جبارا فاتكا، ارتكب جريمة إدخال الفرنج إلى أرض المغرب. وكان في أيام أخيه (العادل في أحكام الله) قبل أن يلي الخلافة، ينتقل في الولايات. وبلغه وهو في إشبيلية انتقاض أركان الدولة بمراكش على أخيه وخنقهم إياه، فدعا إلى نفسه، فعقدت له البيعة بإشبيلية (سنة ٦٢٤ هـ) وبمراكش والأندلس، ثم عدل عنه الموحدون بمراكش إلى ابن عمه يحيى بن الناصر، فتهيا المأمون لقتالهم، وتبين له الضعف في جنده، فاستعان بملك قشتالة فاشترط هذا عليه شروطا فادحة، فرضي بها، فأمدته باثني عشر ألفا وصلوه في رمضان (٦٢٦ هـ) فعب بهم من الجزيرة الخضراء إلى سبتة، فكان أول من أدخل جند الفرنجة أرض المغرب. ودخل مراكش فبايع له الموحدون فطلب شيوخهم الذين نكثوا بيعته الأولى فقتلهم عن آخرهم. وغير ما كان عليه الموحدون من الخطبة والسكة (وكانوا محتفظين بالدعاء للمهدي - مؤسس دولتهم - وبنقش اسمه على نقودهم) وكثرت الثورات في أيامه، فانتقض عليه أمير إفريقية، وخرجت الأندلس عن حكمه. وثار أخوه عمران في مدينة سبتة، فمضى إليه بجيش كبير، وبينما هو محاصر سبتة بلغه إن يحيى بن الناصر خرج من مكنمه (وكان مختفيا) وامتلك مراكش، فقفل إدريس يريد مراكش فمات غما في وادي أم الربيع. قال السلاوي: كانت أيامه شقاء وعناء ومنازعة، وكان محق دولة الموحدين واستتصال أركانها وذهاب نخوتها على يده . (٤٦)

(٤٥) تاريخ مؤرّقه. ل بن عميرة (١٣٦) نفع الطيب (٤٦٩/٤) .

(٤٦) الأعلام . للزركلي (٢٨١/١) .

■ عمر المغيث جلال الدين بن أيوب الصالح بن محمد الكامل ابن العادل الأيوبي (ت ٦٤٢هـ).

من أمراء هذه الدولة. كان نائب دمشق وتوفي بها. قال صاحب الشذرات: لم تحفظ عنه كلمة فحش، حبسه الملك إسماعيل وضيق عليه السامري فمات غما وغبنا ودفن بتربة جده الملك الكامل. (٤٧)

■ محمد بن أحمد بن علي البغدادي المعروف بابن العلقمي (ت ٦٥٦ هـ). قال الزركلي: وهناك روايات بأن مؤيد الدين ابن العلقمي أهدى على أيدي التتار، بعد دخولهم، ومات غما في قلة وذلة. (٤٨)

■ عبد العزيز بن عبد المنعم بن الصيقل أبو العز الحراني (ت ٦٨٦هـ) مُسند الديار المصرية بعد أخيه.

وكان هُوَ وأخوه التَّجيب تاجرين للخليفة. وكان أبوهما فقيهاً، عارفاً بمذهب أحمد، واعظاً مشهوراً. تُوفِّي سنة إحدى وستمئة.

وكان العز الحراني شيخاً مطبوعاً، حسن المحاضرة.

تقرّد في وقته ورُحل إليه. وكان من التَّجَّار المعروفين كأخيه، ثمّ افتقر. (٤٩)

(٤٧) الأعلام . للزركلي (٤٢/٥) .

(٤٨) الأعلام . للزركلي (٣٢١/٥) . ذكر المحي : أن حاكم تبريز لما علم أن مملكته مأخوذة لا محاله لم ير بدا من أن ينهزم من البلدة وينسحب وأوجس في نفسه خيفة وخرج منها خائفاً يتربقّب وطلع عنها متنكراً وهرب منها مبكراً فكان حاله كما قيل : اذا أنكرتني بلدة أو نكرتها ... خرجت مع البازي على سواد .

ولكن سواد الذله ولباس الخزي والمذلة فلما ذهب على هذه الحالة الى الشاه مات من قهره وجعل الله كيده في نحره وكفى الله المؤمنين . (خلاصة الأثر . ل المحي ٣٣٨/٤) .

(٤٩) تاريخ الإسلام . للذهبي (٥٧٤/١٥ رقم ٣٩٣) ط بشار .

■ أحمد بن أبي بكر بن سليمان بن علي الشيخ جمال الدين بن الواعظ الحموي ثم الدمشقي. (ت ٦٨٧هـ).

سمع أبا اليمن الكندي، وابن مندويه، وتفرد بأجزاء، وكان ذا حظ من صلاة وتنسك لكنه أفسد نفسه بشهادته. عن قاضي القضاة ابن الصائغ بالباطل، فأسقطه الحاكم.

وكان واعظاً بمسجد أبي اليمن للنساء، وكان له ثروة وممالك ثم افتقر، وكان ضعيفاً في شهادته. مات في ذي الحجة سنة سبع وثمانين وست مائة. (٥٠)

■ محمد المنصور شهاب الدين ابن إسماعيل الصالح أبي الخيش ابن محمد العادل بن أيوب (ت ٦٨٨هـ)

من ملوك الدولة الأيوبية. سلطنه أبوه في دمشق سنة (٦٤٠هـ) وتقلبت به الأحوال. وكان شيخاً مهيباً يلبس قباء وعمامة مدورة. ولعله هو الذي حاصر الفرنج في مدينة طرابلس نيفاً وشهراً (أول ربيع الأول - ٤ ربيع الآخر ٦٨٨هـ) وافتتحها وأخر بها (كما يقول الذهبي في العبر) وساءت خاتمته فنقل صاحب الشذرات عن ابن مكتوم قوله: رأيت سلطاناً، ورأيت يستعطي! وتوفي في رمضان بدمشق. (٥١)

(٥٠) معجم الشيوخ الكبير للذهبي (١١٧/١)

(٥١) الأعلام. للزركلي (٣٥/٦).

■ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن أبي نصر ابن الكركرية (ت ٧٠٣هـ) .
ولد في شوال سنة ست وثلاثين وست مائة.

سمع من كريمة، حضوراً ، من شيخ الشيوخ ابن حمويه، وعلي بن عبد الصمد الرازي،
وطائفة، وأكثر عن اليلداني، وغيره، وكان تاجراً بسوق علي، ثم افتقر وصار يخيظ
وكبر وعجز . (٥٢)

■ محمد بن يوسف بن محمد الصريحي المعروف بابن زمرك . (ت ٧٩٣هـ)

وزير من كبار الشعراء والكتاب في الأندلس. أصله من شرقيةا، ومولده بروض
البيازين (بغرناطة) تتلمذ للسان الدين ابن الخطيب وغيره، وترقي في الأعمال
الكتابية إلى أن جعله صاحب غرناطة (الغني بالله) كاتم سره، سنة (٧٧٣هـ) ثم
المتصرف برسالاته وحجابه. ونكب مدة، وأعيد إلى مكانته، فأساء إلى بعض رجال
الدولة، فختمت حياته بأن بعث إليه ولي أمره من قتله في داره وهو رافع يديه
بالمصحف. وقتل من وجد معه من خدامه وبنيه. وكان قد سعى في أستاذه لسان
الدين ابن الخطيب حتى قتل خنقا، فلقي جزاء عمله. (٥٣)

■ أحمد بن صدقة بن تقي العزي (ت ٨٠٩هـ) .

نسبة للعز بن جماعة لكونه كان في خدمته بل كانت أمه زوجا لمفتاح بن عبد الله
عتيق البدر والد العز أخذ الفقه واشتغل قليلا ثم لازم سوق الكتب في حانوت ثم
افتقر فصار ينادي على الكتب وينسخ مع ضعف خطه وكان ساكنا ضعيف الحال
والبنية . (٥٤)

(٥٢) معجم الشيوخ الكبير للذهبي (١٦٢/٢) .

(٥٣) الأعلام . للزركلي (١٥٤/٧) .

(٥٤) الضوء اللامع (٣١٩/١) .

■ عبد الله بن محمد الجمال المارديني ويعرف بتمنع (ت ٨٠٦هـ) .

قال شيخنا في الأنباء كان من أولاد الأغنياء فورث مالا جزيلاً فأنفقه في الخيرات ثم افتقر فصار يكدي بالأوراق وينظم البيتين في ذلك أحياناً وكان يعاشر الرؤساء ، وللعز الموصلية فيه نظم. مات في رمضان سنة ست بدمشق. (٥٥)

■ عمر بن عبد العزيز السراج بن العز بن الصلاح المصري (ت ٨٢٥هـ).

ولد سنة إحدى وأربعين وسبعمائة .

مات أبوه وكان يعد من التجار ثم ورث هو وأخوه نور الدين والدهما فاتسع حاله وأثرى واشتهر بالمعرفة وحسن السيرة ثم تناقص حاله فمات عمه تاج الدين محمد بمكة في سنة خمس وثمانين وسبعمائة وأوصى إليه وورث منه فأثرى واتسع حاله ثم تناقص إلى أن مات قريبه محمد بن زكي الدين الخروبي في سنة أربع وستين وهو شاب فورث منه مالا جزيلاً فتراجع حاله ثم تناقص إلى أن مات أخوه نور الدين فورث ماله واتسعت دائرته وحسن حاله ثم تناقص حاله بعد ثلاث سنين إلى أن ماتت أخته آمنة فورث منها مالا جزيلاً فحسنت حاله ووفى كثيراً من دينه ولم يزل بسوء تدبيره إلى أن مات فقيراً إلا أن ابنته فاطمة ماتت قبله ييسير فورث منها شيئاً حسنت به حاله قليلاً ولكنه مات وعليه ديون كثيرة في سنة خمس وعشرين وقد جاز الثمانين ممتعا بسمعه وبصره وعقله، وكان كثير العبادة من صلاة وصوم وأذكار، وتنقلت به الأحوال ما بين غنى مفرط وفقير مدقع كما شرحناه رحمه الله. (٥٦)

(٥٥) الضوء اللامع (٥/٦٩ رقم ٢٤٩) .

(٥٦) الضوء اللامع (٦/٦٣ رقم ٣٠٢) .

■ عبد الله بن إسماعيل بن الشريف محمد الحسيني العلويّ (ت ١١٧١هـ) .
كان من ملوك دولة الأشراف العلويين بمراكش. ولد بتافيلالت. وبويع له بعد وفاة
أخيه أحمد سنة (١١٤١هـ) وكان جباراً، قاسي النفس، سفاكاً للدماء، خُلِع أربع
مرات، وعاد. وانتهى أمره بأن استقر في مكان بقرب فاس الجديدة سنة
(١١٥٩هـ) وأقام به مهماً لا يأتيه أحد، وبيعة في أعناق الناس، وهم كما يقول
السلوي: " فازّون منه، لكثرة ما سفك من الدماء بغير سبب ظاهر واستمرت
حالته على ذلك مُدَّة اثْنَيْ عَشْرَةَ سنة " إلى أن مات ودفن بفاس الجديدة . (٥٧)

■ أخت أحمد بن طولون صاحب مصر .

قال ابن رجب - رحمه الله - : كانت أخت أحمد بن طولون صاحب مصر كثيرة
السرف في إنفاق المال حتى أنها زوجت بعض لُعبها فأنفقت على وليمة عرسها مائة
ألف دينار فما مضى إلا قليل حتى رُويت في سوق من أسواق بغداد وهي تسأل
الناس. (٥٨)

■ أحمد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن (ت ١١٩٥هـ) .

شريف حسني من أمراء مكة وليها بعد وفاة أخيه مساعد سنة (١١٨٤هـ) وانتزعها
منه الشريف عبد الله (من ذوي بركات) فقاتله ابن محسن واستعادها بعد انفصاله
عنها شهرين و٢٧ يوماً، واستمر إلى سنة (١١٨٥هـ) فقاتله ابن أخيه الشريف
سرور بن مساعد وانتزع الامارة منه وجرت بينهما حروب وفتن فتغلب سرور
وحبسه إلى أن مات بجدة . (٥٩)

(٥٧) الاستقصا (١٨٧/٧) الأعلام . للزركلي (٧٢/٤) .

(٥٨) لطائف المعارف (٣٢) .

(٥٩) الأعلام . للزركلي (١٣١/١) .

■ سالم بن ثويني بن سعيد بن سلطان (ت ١٢٩٠هـ) .

ملك عُمان ومسقط في سيرته إساءات كان في صباحه يساعد أباه في تدبير مملكته، ثم طمع بالانفراد في الملك، فاغتال أباه سنة (١٢٨٢هـ) في ميناء صحار، وانفرد بالأمر. وذهب إلى مسقط فجمع رؤساء القبائل وأخبرهم بأنه قتل أباه لظلمه، فرضوا عن عمله، وأقروه فاستمر سنتين وأشهرًا، وثاروا عليه، فاستنجد بالبرتغاليين، وكانت لهم سفن مسلحة في شاطئ مسقط فأعانوه بطلقة مدفع واحدة ثم خذلوه وخلع سنة (١٢٨٥هـ) فرحل إلى الهند في أيام استيلاء تركي بن سعيد على الدولة العمانية فمات فيها بعيداً عن أهله ووطنه. (٦٠)

■ الوزير أبي البسام الإسكندارني وزير الحكم بن هشام ابن الداخل الأموي.

وحكايته مع الفقيه طالوت بن عبد الجبار المعافري الأندلسي .
كان طالوت المعافري ممن خرج على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن من أهل ررض شقنذة يريد خلعه وإقامة أخيه المنذر، وزحفوا إلى قصره بقرطبة، فحاربهم، وقتلهم، وفرّ من بقي منهم، فاستتر الفقيه طالوت عاماً عند يهودي، ثم ترامى على صديقه أبي البسام الكاتب ليأخذ له أماناً من الحكم، فوشى به إلى الحكم، وأحضره إليه فعنفه ووبّخه، فقال له: كيف يحل لي أن أخرج إليك وقد سمعت مالك بن أنس يقول: سلطان جائزٌ مدّةٌ خير من فتنة ساعة فقال: الله تعالى لقد سمعت هذا من مالك فقال طالوت، اللهم إني قد سمعته، فقال: انصرف إلى منزلك وأنت آمن، ثم سأله: أين استتر فقال: عند يهودي مدة عام، ثم إني قصدت هذا الوزير فغدر بي، وغضب الحكم على أبي البسام وعزله عن وزارته، وكتب عهداً أن لا يخدمه أبداً،

(٦٠) الأعلام . للزركلي (٧١/٣) .

فرؤي أبو البسام بعد ذلك في فاقة وذل، فقيل: استجيبت فيه دعوة الفقيه طالوت،
رحمه الله تعالى. (٦١)

وقال الذهبي : فأطرق الخليفة ملياً، ورفع رأسه إلى أبي البسام، وقال: حفظه يهودي
، وستر عليه لمكانه من العلم والدين، وغدرت به إذ قصدك، وخفرت ذمته، لا أرانا
الله في القيامة وجهه إن رأينا لك وجهها. وطرده، وكتب لليهودي كتاباً بالجزية فيما
ملك، وزاد في إحسانه، فلما رأى اليهودي ذلك، أسلم مكانه. (٦٢)

■ قال الشيخ المحدث أحمد شاكر (ت ١٣٧٧هـ) .

كان الشيخ طه حسين طالباً بالجامعة المصرية القديمة، حين كانت متشرفة برياسة
سمو الأمير فؤاد. وتقرر إرساله في بعثة إلى أوربة، فأراد حضرة صاحب العظمة
السلطان حسين رحمه الله أن يكرمه بعطفه ورعايته، فاستقبله في قصره استقبالاً
كريماً، وحباه هدية قيمة المغزى والمعنى.

وكان من خطباء المساجد التابعين لوزارة الأوقاف، خطيب فصيح متكلم مقتدر،
هو الشيخ محمد المهدي خطيب مسجد عزبان. وكان السلطان حسين رحمه الله
مواظباً على صلاة الجمعة، في حفل فخم جليل، يحضره العلماء والوزراء والكبراء.
فصلّى الجمعة يوماً ما، بمسجد المبدولي القريب من قصر عابدين العامر. وندبت
وزارة الأوقاف ذاك الخطيب لذلك اليوم. وأراد الخطيب أن يمدح عظمة السلطان،
وأن ينوه بما أكرم (الشيخ طه حسين)، وحقّ له أن يفعل. ولكن خائفة فصاحته،
وغلبه حب التغالي في المدح، فزلّ زلة لم تقم له قائمة من بعدها.

(٦١) نفع الطيب (٦٣٩/٢) .

(٦٢) السير (٢٥٩/٨) .

إذ قال أثناء خطبته: "جاءه الأعمى، فما عبس في وجهه وما تولى!" .
وكان من شهود هذه الصلاة والدي الشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر سابقاً رحمه الله
. فقام بعد الصلاة يعلن الناس في المسجد أن صلاتهم باطلة، وأمرهم أن يعيدوا
صلاة الظهر، فأعادوها .

ذلك بأن الخطيب كفر بما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم تعريضاً لا تصريحاً.
لأن الله سبحانه عتب على رسوله صلى الله عليه وسلم حين جاءه ابن أم مكتوم
الأعمى، وهو يحدث بعض صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام، فأعرض عن
الأعمى قليلاً حتى يفرغ من حديثه، فأنزل الله عتاب رسوله في هذه السورة الكريمة.
ثم جاء هذا الخطيب الأحمق الجاهل، يريد أن يتملق عظمة السلطان رحمه الله، وهو
عن تملقه غني والحمد لله. فمدحه بما يوهم السامع أنه يريد إظهار منقبة لعظمته،
بالقياس إلى ما عاتب الله عليه رسوله. وأستغفر الله من حكاية هذا. فكان صنع
الخطيب المسكين تعريضاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يرضى به مسلم، وفي
مقدمة من ينكره السلطان نفسه.

ثم ذهب فوراً إلى قصر عابدين العامر، وقابل محمود شكري باشا رحمه الله، وهو له
صديق حميم، وكان رئيس الديوان إذ ذاك. وطلب منه أن يرفع الأمر إلى عظمة
السلطان، وأن يبلغه حكم الشرع في هذا بوجوب إعادة الصلاة التي بطلت بكفر
الخطيب.

ولم يتردد شكري باشا في قبول ما حُمِّل من الأمانة، وأعتقد أن عظمة السلطان لم
يتردد في قبول حكم الشرع بإعادة الصلاة.

وكاد الأمر أن يقف عند هذا الحد، لأن قوانينكم هذه التي تدينون بها لا تحمي

رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفه السفهاء، ولا من حمق الحمقى والأدعياء. ثم دخل فيه دخلاء السوء، ممن يحرصون أشد الحرص - فيما زعموا - على حقوق الأفراد، ويغلون أشد الغلو في هضم العلماء وهدمهم، حتى يشغلوهم بأنفسهم عن نصر دينهم والذب عن حوضه. وكان ذلك الرجل الخطيب متصلاً ببعض المستشارين الكبار، اتصال التابع بالمتبوع، يؤدي لهم كثيراً من الخدمات. فأشاروا عليه بأن يرفع دعوة جنحة مباشرة على أبي، لأنه سبه سباً علنياً في المسجد وفي ديوان السلطان. وأشفق من لم يعلم أن ينال أبي من ذلك سوء. وثار البلد، وكثر اللغط، ووقف رجال كرام من رجال القضاء الأهلي في ذلك مواقف مشرفة، بين مسلم وقبطي، كانوا يداً واحدة في الذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنكار أي مساس ولو من بعيد بمقامه الكريم.

ولم يعبأ بقضية الخطيب، ولا بمن وراءه من الكبار. بل وكّل عنه صديقه الأستاذ الكبير محمد بك أبو شادي، موقفه في القضية أنه لن يحتكم في حكم الشرع في جريمة هذا المجرم إلى علماء الأزهر، لأن حكم المساس برسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تعريضاً معروف للدهماء، لا ينكره جاهل أو متعنت أو غبي. وإنما نقطة البحث الصحيحة فيها عربية لغوية صرفة: الذي صدر من الرجل الجاني المدعي أنه مجني عليه تعريض بالمقام الكريم مقام الرسول الأعظم، بدلالة اللغة والاستعمال أم ليس بتعريض؟ ولا يحتاج الفصل في هذا إلى علماء الأزهر، خشية أن يظن بهم ما هم براء منه من العصبية. بل هي نقطة عربية لغوية، يكفي فيها رأي بعض المستشرقين الإفرنج، ممن لا يظن بهم العصبية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، بل هم مظنة الضدّ من ذلك .

فكان تصميمه وعزمه، على أنه إذا وصلت القضية إلى المحكمة، وعُرضت، أن يطلب ندب خبراء مستشرقين، ليحددوا بخبرتهم في لغة العرب دلالة كلام الخطيب من الوجهة العربية: أهو تعريض أم لا؟؟ ثم يكون الفصل القضائي طبقاً لما يقرره الخبراء.

ثم دخلت الحكومة في الأمر، خشية ما يكون من وراء هذه القضية من أحداث وأخطار. وطوى بساطها قبل أن ينظرها القضاء. ولكن الله لم يدع لهذا الخطيب جرمه في الدنيا، قبل أن يجزيه جزاءه في الأخرى. بعد بضع سنين، وبعد أن كان متعالياً متنفخاً، مستعزاً بمن لاذ بهم من العظماء والكبراء، أصبح مهيناً ذليلاً، خادماً على باب مسجد من مساجد القاهرة، يتلقى نعال المصلين يحفظها، في ذلة وصغار .

حتى لقد خجلت أن يراني ، وأنا أعرفه وهو يعرفني ، لا شفقةً عليه ، فما كان موضعاً للشفقة ، ولا شماتةً فيه ، فالرجل النبيل يسمو على الشماتة ، ولكن لما رأيت من عبرة وموعظة . (٦٣)

■ ذكر عبدالكريم بن هوازن القشيري في رسالته :

قَالَ بَعْضُهُمْ رَأَيْتُ فِي الطَّوَّافِ إِنْسَانًا بَيْنَ يَدَيْهِ شَاكِرِيَّةٌ يَمْنَعُونَ النَّاسَ لِأَجْلِهِ عَنِ الطَّوَّافِ ثُمَّ رَأَيْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَدَّةٍ عَلَى جَسْرِ بَغْدَادِ يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا فَتَعَجَّبْتُ مِنْهُ فَقَالَ لِي: أَنَا تَكَبَّرْتُ فِي مَوْضِعٍ يَتَوَاضَعُ النَّاسُ هُنَاكَ فَابْتَلَانِي اللَّهُ تَعَالَى بِالتَّذَلُّلِ فِي مَوْضِعٍ يَتَرَفَعُ فِيهِ النَّاسُ! . (٦٤)

(٦٣) كلمة الحق . لأحمد شاعر (١٤٩) .

(٦٤) الرسالة القشيرية . ل عبدالكريم القشيري (٢٨١/١) .

■ عَرِيبُ الْمَأْمُونِيَّةِ .

قيل إنها ابنة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي لما انتهت دولة البرامكة سُرقت وهي صغيرة وبيعت ، فاشتراها الأمين محمد بن الرشيد ثم اشتراها أخوه المأمون عبد الله وكانت شاعرة مجيدة ومغنية محسنة . (٦٥)

■ جَمِيلَةُ بِنْتُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ الحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ (ت ٣٧١ هـ)

صاحب الموصل: إحدى شهيرات النساء في الكرم والعقل والجمال . لم تتزوج أنفة من أن يتحكم بها الزوج . وحجت سنة (٣٦٦هـ) فكان معها أربع مئة جارية، ونشرت على الكعبة عشرة آلاف دينار . ولما تغلب عضد الدولة (سلطان العراق) على أخيها أبي تغلب (أمير الموصل) سنة (٣٦٩هـ) فرّ أبو تغلب إلى الرملة، ورحلت معه جميلة في جماعة من حاشيته، فخرج عليهم دغفل بن مفرج (أمير طييء) فقتل أبا تغلب وحمل جميلة إلى حلب ثم إلى بغداد، فاعتقلها عضد الدولة في حجرة، ثم أركبها جملاً وشهر بها، وألقاها في دجلة، فماتت غرقاً . (٦٦)

غريبة :

■ قال جمال الدين القاسمي .

وفي سنة (١٣٢٣هـ) هلك أحد الشحاذين في محلة الصالحية ، وكان دائماً يشكو ألماً ، ويضطجع على قارعة الطريق يطلب من الناس ، فغبت دفنه والتفتيش على محل بيته ، وجدوا عنده صندوقاً من صناديق الكاز مملوءاً من نوع النحاسات فقط ، وبلغ وزنه ثمانين رطلاً مما تنوف قيمتها على عشرين ألف قرش! هذا ، ما عدا

(٦٥) نساء الخلفاء . ابن الساعي (٥٥) .

(٦٦) الأعلام . للزركلي (١٣٩/٢) .

أصناف العملة الفضية والذهبية! أما كان هذا المبلغ يجعله تاجراً موقراً؟ ولكنهم طابت لهم المعيشة بهذه الحرفة التعيسة! (٦٧)

■ بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري .

كَانَ فِي حَبْسِ الْحَجَّاجِ وَكَانَ يَعَذِّبُهُ وَكَانَ كُلُّ مَنْ مَاتَ مِنَ الْحَبْسِ رَفَعَ خَبْرَهُ إِلَى الْحَجَّاجِ فَيَأْمُرُ بِإِخْرَاجِهِ وَتَسْلِيمِهِ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ بِلَالٌ لِلْسَّجَّانِ خُذْ مِنِّي عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَاخْرُجْ اسْمِي إِلَى الْحَجَّاجِ فِي الْمَوْتَى فَإِذَا أَمَرَكَ بِتَسْلِيمِي إِلَى أَهْلِي هَرَبْتُ فِي الْأَرْضِ فَلَمْ يَعْرِفِ الْحَجَّاجُ خَبْرِي وَإِنْ شِئْتُ أَنْ تَهْرَبَ مَعِيَ فَافْعَلْ وَعَلِي غَنَاكَ أَبَدًا فَأَخَذَ السَّجَّانُ الْمَالَ وَرَفَعَ اسْمَهُ فِي الْمَوْتَى فَقَالَ الْحَجَّاجُ مِثْلَ هَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى أَهْلِهِ حَتَّى أَرَاهُ هَاتِهِ فَعَادَ إِلَى بِلَالٍ فَقَالَ اعْهَدْ قَالَ وَمَا الْخَبْرُ قَالَ أَنَّ الْحَجَّاجَ قَالَ كَيْتَ وَكَيْتَ فَإِنْ لَمْ أَحْضِرْكَ إِلَيْهِ مَيْتًا قَتَلَنِي وَعَلِمَ أَنِّي أَرَدْتُ الْحَيْلَةَ عَلَيْهِ وَلَا بُدَّ أَنْ أَقْتُلَكَ خَنْقًا فَبَكَى بِلَالٌ وَسَأَلَهُ أَنْ لَا يَفْعَلَ فَلَمْ يَكُنْ إِلَى ذَلِكَ طَرِيقَ فَأَوْصَى وَصَلَى فَأَخَذَهُ السَّجَّانُ وَخَنَقَهُ وَأَخْرَجَهُ إِلَى الْحَجَّاجِ فَلَمَّا رَأَاهُ مَيْتًا قَالَ سَلِمَهُ إِلَى أَهْلِهِ فَأَخَذُوهُ وَقَدْ اشْتَرَى الْقَتْلَ لِنَفْسِهِ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَرَجَعَتْ الْحَيْلَةُ عَلَيْهِ . (٦٨)

الامبراطور كاليجولا .

هو أحد الأباطرة الرومانيين الذين حكموا الامبراطورية الرومانية في الفترة (من ٣٧ الى ٤١ ميلادياً) ، وعرف عن الامبراطور كاليجولا انه كان احد اكثر الطغاة في تاريخ الامبراطورية الرومانية على الرغم من سنوات حكمه القليلة .

ولما أسدت إليه جדותه أنطونيا بعض النصح أنبها بقوله: " اذكرني أن في مقدوري أن أفعل أي شيء بأي إنسان". وذكر لضيوفه في إحدى الولائم أن في وسعه أن

(٦٧) قاموس الصناعات الشامية. للقاسمي (٢٥١) .

(٦٨) الأذكياء . ل ابن الجوزي (٩١) .

يقتلهم كلهم وهم متكئون في مقاعدهم؛ وكان وهو يحتضن زوجته أو عشيقته يقول لها ضاحكاً: "سيطرح هذا الرأس الجميل بكلمة تخرج من فمي".

وسرعان ما أخذ الزعيم الشاب يصدر الأوامر إلى مجلس الشيوخ ويطلب إليه الخضوع لهذه الأوامر، بعد أن كان يُظهر له أعظم الاحترام، فصار يسمح للشيوخ أن يقبلوا قدميه تعظيماً له وتبجيلاً، ثم يتقبل الشكر منهم على تشريفه إياهم بهذا التقبيل.

وكانت منيته على يد الحرس البريتوري الذي طالما ابتاع معونته بالهدايا. وذلك أن ضابط من ضباط الحرس يدعى كاسيوس كثيرًا أهانه كالجيو لا مراراً كثيرة بالألفاظ البذيئة التي كان يبلغها إليه كل يوم لتكون بمثابة سر الليل ووجواز المرور؛ فقتله سراً في إحدى ممرات الملهى. ولما ذاع الخبر في المدينة تردد أهلها في تصديقه، وظنوا أنه حيلة من حيل الإمبراطور الخبيث يريد بها أن يعرف أي الناس يبتهج بموته. وأراد مغتالوه ألا يتركوا الناس في شكهم فقتلوا زوجته الأخيرة؛ وحطموا رأس ابنته بدقه في إحدى الجدران. ويقول ديون كالجيو لا عرف في ذلك اليوم أنه ليس إلهاً. (٦٩)

وقيل قامت مجموعة من النشطاء في تكوين حملة سرية للتخلص منه ، وفي يناير من عام ٤١ ميلاديا ، تعرض الامبراطور كاليجولا لهجوم عن طريق من مجموعة الحراس التابعين لتلك المجموعة ، وذلك في اعقاب احد الاحداث الرياضية والتي تم من خلالها عملية الاغتيال ، حيث تم طعن الامبراطور كاليجولا حوالي ٣٠ طعنة والتي ادت الى مقتله ، ثم تم القاء جثته في قبر عميق ، ثم قاموا بقتل زوجته وابنته أيضاً .

،،، تم والحمد لله ،،،

(٦٩) قصة الحضارة (١٠/١٠٨ و ١١٣) .